



مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: التأثير المشرقي في الرهينة الغربية

اسم الكاتب: أ.د. محمد الزين، رمزي النعمات

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/2760>

تاريخ الاسترداد: 2026/06/05 01:06 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينصوي المقال تحتها.



التأثير المشرقي في الرهبة الغربية

أ. د. محمد الزين¹، رمزي محمد النعمات²

¹ أستاذ دكتور - الشرق الأدنى القديم - قسم التاريخ - جامعة دمشق.

² دكتوراه الشرق الأدنى القديم - قسم التاريخ - جامعة دمشق.

الملخص:

تتم أهمية البحث في دراسة التأثير المشرقي في الرهبة الغربية كما هو معلوم ولدت الرهبة في مصر ومنها انتقلت إلى الغرب من خلال القديس أثناسيوس الرسولي (٢٩٦-٣٧٣م) رئيس أساقفة الإسكندرية، والرحالة الذين قدموا إلى الشرق لممارسة الحياة الرهبانية ونقلها إلى بلادهم.

كانت البدايات الأولى للرهبنة في الغرب على يد مارتن أسقف تور تلميذ القديس أثناسيوس الرسولي، شهدت الرهبة تطوراً على يد القديس كاسيان (رائد الحركة الرهبانية) في الغرب الأوروبي، بينما يعد القديس بنديكتوس (٤٨٠-٥٤٧ م) هو المنظم الفعلي للحياة الديرية في أوروبا إذ كان لقوانينه الديرية الدور الحاسم في تطور النظام الديرية في الغرب الأوروبي، فإنه يرجع الفضل في تحويل الرهبة من حالة النشاط التأملي التفكير إلى النشاط الاجتماعي ومن حالة العزلة عن المجتمع إلى حركة ديناميكية فعالة.

أسهمت الأديرة البندكتية في نشر الديانة المسيحية في أرجاء أوروبا، لعبت دوراً مهماً في المحافظة على التراث الثقافي اليوناني والروماني.

لأجل ذلك رغبت في البحث في الرهبة الشرقية وطرق وصولها إلى الغرب الأوروبي من خلال القديس أثناسيوس والرحالة والزوار الذين زاروا المشرق، وتمت عرضت لحياة القديس بنديكتوس (٤٨٠-٥٤٧م) وقوانينه الديرية وأخيراً المظاهر الحضارية للرهبنة البندكتية الغربية.

الكلمات المفتاحية: الدير، الرهبة، القوانين، المكانة، مصر.

تاريخ الإيداع: 2021/10/24

تاريخ القبول: 2021/12/29



حقوق النشر: جامعة دمشق - سورية،
يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب
الترخيص

CC BY-NC-SA 04

Levantine influence in Western monasticism

Pro. Mohammad AL-ZaIn¹, Ramzi AL-Naamat²

1 Professor Doctor - Ancient Near East - Department of History - University of Damascus.

2 Ph.D- Ancient Near East - Department of History - University of Damascus.

Summary

Monasticism was born in Egypt and from there it moved to the West through Saint Athanasius and travelers who came to the East to practice the monastic life and transfer it to the countries

Saint Benedict (480-547 AD) is considered the organizer of monastic life in Europe, as his monastic laws had a decisive role in the development of the monastic system in Western Europe. He is credited with transforming monasticism from a state of contemplative and intellectual activity to social activity and from a state of isolation from society to a movement An effective dynamic, as it helped spread the Christian religion throughout Europe, the Benedictine monasteries played an important role in preserving the Greek and Roman cultural heritage.

Nevertheless, the Western monastic system did not maintain fixed rules and did not remain static, and this is evidence of the vitality of the Western monastic system, which was established for the service of society and humanity.

For this reason, we wished to research the Eastern monasticism and the ways of its arrival to the European West through Saint Athanasius and the travelers and visitors who visited the East, and also exposed to the life of Saint Benedict (480-547 AD), his monastic laws, and finally the civilizational aspects of the Western Benedictine monasticism .

Key words: Monastery, Monasticism, Laws, Prestige, Egypt .

Received: 2021/10/24

Accepted:2021/12/29



Copyright: Damascus University-
Syria, The authors retain the
copyright under
a CC BY- NC-SA

المقدمة:

لم تكن الرهبة نوعاً جديداً من المسيحية، بل نبعت منها ومن حياة الكنيسة ويمكن تتبع جذورها في العهد الجديد فقد تحدث السيد المسيح عن هؤلاء الذين أعطوا نعمة كافية لكي يخلصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات وفي موضع آخر علم السيد المسيح تلاميذه أن يعيشوا حياة الفقر، هذا إلى جانب تعاليم السيد المسيح ودعوته لترك العالم المادي والتحرر منه. كما كانت حياة النسك التي عاشها إيليا ويوحنا المعمدان نموذجاً سعى النساك الأولون ليحتدوا به، والتي جاهد المسيحيون الأوائل والرهبان ليحيوا بحسبها.

ولدت الرهبة في مصر وانتقلت إلى سورية ومنها انتقلت إلى الغرب عن طريق القديس أثناسيوس الرسولي وبواسطة الرحالة والزوار الغربيين الذين زاروا سورية ومصر بدورهم نقلوا هذه الرهبة إلى بلادهم. شهدت الرهبة تطوراً من العزلة الفردية إلى العزلة المترابطة، وكان الشكل النهائي لهذا التطور هو الرهبة الديرية، وقد عرف العالم المسيحي ثلاث مدارس للرهبنة؛ المدرسة المصرية؛ والمدرسة السورية؛ والمدرسة الباسيلية، وفي القرن الخامس والسادس الميلاديين ظهرت المدرسة الرابعة في الغرب الأوروبي وكان رائدها يوحنا كاسيان ومنظمها الفعلي القديس بنديكتوس.

اشكالية البحث:

البحث محاولة للإجابة عن أسئلة إشكالية: كيف انتقلت الرهبة من الشرق إلى الغرب؟ ما الآلية المتبعة في ذلك؟ وهل استفاد القديس بنديكتوس من قوانين باخوميوس وباسيليوس الكبير من أجل تحقيق مشروعه الرهباني الديرية وكيف طبق ذلك؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تقديم صورة مفصلة عن الرهبة الشرقية وطرق انتقالها إلى الغرب ومعرفة مدى تأثير الرهبة الشرقية بالرهبنة الغربية، ومحاولة لإلقاء الضوء على نشوء الدير البندكتي والجوانب الحضارية لهذا الدير.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى محاولة تقديم صورة واضحة عن الرهبة الشرقية وتأثيرها على الرهبة في الغرب، والتطرق إلى كيفية وصول الرهبة الشرقية إلى أوروبا، ومدى إسهام القوانين الديرية الشرقية في مشروع بنديكتوس الديرية، كما يهدف إلى إبراز الدور الحضاري الذي أدته الأديرة البندكتية في حفظ التراث من الضياع.

منهجية البحث:

المنهج المتبع هو المنهج التاريخي الذي يتمثل في الاطلاع على مختلف مصادر الدراسة ومراجعتها، وجمع المعلومات المتعلقة بالرهبنة الشرقية وتأثيرها على رهبة الغرب وتحليلها ونقدها، ثم اتباع المنهج المقارن بين المعلومات وعرضها وفق منهج أكاديمي.

أولاً: الرهبة الشرقية:

الرهبنة Monasticism: نظام ديني المقصود به الابتعاد عن ملذات الحياة الدنيوية واعتزال الناس والتقيد بنذور (Vows) معينة، والتفرد في الأديرة طلباً للعبادة والتقرب من الله.

الرهبنة المسيحية لها أسس عدة أهمها البتولية (عدم الزواج)، والتقشف والفقر الاختياري والعزلة والطاعة¹. بدأت الرهبنة في مصر، وحول ذلك يذكر المؤرخ الكنسي يوسابيوس أب التاريخ الكنسي² بدأت الرهبنة في مصر حال دخول الديانة المسيحية فيها، أن الذين استجابوا لمرقص عاشوا حياة الزهد والرهبنة المتطرفة³، وأيضاً يتحدث القديس جيروم Hironimus (٣٤٧-٤٢٠م) عن ظهور الرهبنة في العالم المسيحي جاعلاً من مصر ميلادها ومركز انتشارها إلى جميع الولايات الرومانية فيما بعد⁴.

بلغت الرهبنة أوج نموها في القرن الرابع الميلادي، وبعد الزَّاهب أنطونيوس الكبير Anthony of Egypt المولود في مصر سنة (٢٥١م)، مؤسس الرهبنة الشرقية فقد دعا إلى حياة الانفراد والعزلة وإنكار الذات والصلاة والتفكير بالله بعيداً عن المدن والاضطرابات الدينية.

عاش أنطونيوس في انفراد تام لمدة عشرين عاماً مجاهداً بالصوم والصلاة ومعرضاً ذاته للامتناع عن جميع أنواع الحرمات، فذاع صيته في كل أنحاء مصر وتوافد عليه المسيحيون لزيارته ورجعوا بالعيش بقره وتحت قيادته، وتجمع حوله عدد من عشاق الرهبنة والفضيلة وتم تأسيس أول جماعة رهبانية عام (٣٠٥م)، وهذه الجماعة لم يكن لها قوانين مفصلة بشأن الحياة النسكية، بل جملة من الطرق لبلوغ الكمال الروحي والأدبي اقتداءً بسلوك مؤسسها ومثله وأخلاقه⁵.

ظهر في زمن أنطونيوس نمط آخر لحياة الرهبنة، هو الرهبنة الجماعية التي أسسها باخوميوس الكبير Pachomius المولود سنة (٢٩٠م)، وقد أسس باخوميوس عدة أديرة متقاربة على شاطئ النيل⁶، وفي هذا النمط صار الرهبان يسكنون في دير يحيط به سور واحد وتجمعهم شركة واحدة في الأكل والشرب والصلاة واستحدثت وظائف وصناعات لتنظيم الحياة ضمن الدير⁷. وقد وضع باخوميوس قوانين محددة للحياة الديرية:

- يجب على الراهب معرفة القراءة والكتابة.
- التركيز على أهمية العمل اليدوي من أجل الإنفاق على الأخوية.
- إقامة قلالي يسكنها الرهبان معاً.
- تناول الطعام في قاعة واحدة.
- لباس موحد لجميع الرهبان يتضمن جلباباً بغير أكمان وحزام يشد أوساطهم ويجب وضع قلنسوة على الرأس⁸.
- نظام صارم من حيث عدم وجود الملكية للرهبان بغرض (الفقر الاختياري)، ومنع تنقل الرهبان من مكان إلى آخر، وفرض اختبار مدته سنة كاملة على الرهبان الجدد ليظهروا استعدادهم للعيش وفق هذه القوانين، وعدم الاستحمام وشرب النبيذ.
- تقسيم جماعة الرهبان إلى أربع وعشرين درجة أو مرتبة، حسب تقدمهم في الحياة الروحية، ووضع هذه الجماعة تحت إدارة رئيس عام واحد (أرشمندريت)¹ وكان هذا الرئيس هو باخوميوس نفسه².

¹ - سكرىما، أندريه. (١٩٩٢)، أصول الحياة الروحية، تر: رهبنة دير مار جرجس، ط٢، القاهرة: منشورات دار النور، ص ٢٩-٤٠.

² - المؤرخ يوسابيوس القيصري Eusebius (٢٦٥-٣٣٩م) يتكون تاريخه من عشرة كتب تقدم معلومات تاريخية مهمة عن تاريخ الكنيسة الأولى، لم يهدف يوسابيوس إلى تقديم تاريخ لنمو الكنيسة وإنما كان يهدف إلى إبراز الفكر المسيحي وتحدي المؤمنين للآلام والموت وانتصار الحق على الباطل.

³ - يوسابيوس. (١٩٧٩)، تاريخ الكنيسة، تر عن الأصل اليوناني: القمص مرقص داوود، ط٢، القاهرة، ٢: ١٦.

⁴ - Jerome, ILLUSTRIOUS MEN (1849), Nicene and past - Nicene fathers ed. schaff, newyork, II, P365

⁵ - أثناسيوس. (٢٠١٢)، سيرة حياة القديس أنطونيوس أب الرهبان، تر: بولين تدرى أسعد، مطبعة اميرال، القاهرة، ص ٣-٥.

⁶ - عطية، عزيز سويل. (١٩٤٩)، نشأة الرهبنة في مصر وقوانين باخوميوس، الإسكندرية: مطبعة رمسيس، ص ١٧-٢٢.

⁷ - المخلصي، إلياس كويتير. (١٩٨٩): القديس باسيلوس الكبير، بيروت: المكتبة البولسية، ص ٧٩.

⁸ - Thomas, J. (1998), Byzantine Manstic Foundation Document, Acomplet Transition Of The Survng Founders, Typika And Testaments .Vol.1, Harvard University, P36-38.

- قد اتسع نطاق الرهينة المنفردة والجماعية كثيراً، وانتشرت في كل أنحاء مصر، وانتقلت إلى سورية وأسيا الصغرى، مع بداية القرن الخامس الميلادي انتشرت الأديرة في الشرق كله، وبرز رهبان كثيرون أمثال القديس هيلاريون أب الرهينة السورية Hilarion (٢٩١-٣٧١م) ويوحنا فم الذهب³ Johannes Chrysostomus (٣٤٧-٤٠٧م) في سورية والقديس باسيليوس الكبير Basilios (٣٣٠-٣٧٩م) منظم الحياة الرهبانية في آسيا الصغرى، والتزمت الرهينة في جميع الكنائس الشرقية القانون المنسوب إلى القديس باسيليوس وأنطونيوس في ممارسة الرهينة⁴.

ثانياً: الرهينة الغربية:

1 - طرق انتقال الرهينة إلى الغرب الأوروبي:

أ- **القديس أنثاسيوس الرسولي (٢٩٦-٣٧٣م):** انتقلت فكرة الرهينة من الشرق إلى الغرب، وذلك لما نفي البابا أنثاسيوس الرسولي رئيس أساقفة الإسكندرية عام ٣٣٥م إلى مدينة تريف (Treve)⁵، وهناك كتب القديس أنثاسيوس كثيراً عن حياة الرهينة المصرية وخاصة حياة القديس أنطونيوس الكبير (Life of Antony)⁶، وقد جذب بنسكه أشرف الطبقات العليا حتى تحولت قصورهم إلى صوامع نسكية، وتداول أساقفة الغرب تعاليم هذا الأسقف وكتابات وتأثرها كثيراً ببساطة ملبسه ونسكه على الرغم من المكانة العظيمة له كرئيس أساقفة، لما سأله عن هذا الملبس فأجابهم قائلاً: (إن هذه الملابس هي التي يرتديها الأنبا⁷ أنطونيوس لأننا نفتدي به)، وهنا أعربوا عن ميلهم لمعرفة هذه الشخصية المقدسة، واستجاب أنثاسيوس لهم وكتب حياة القديس أنطونيوس باللغة اليونانية بين سنة (٣٥٦-٣٦٢م)⁸، وقد ترجمها أيفاجريوس Evagrius (٣٦١-٣٧٨م) أسقف أنطاكية السورية إلى اللغة اللاتينية في الفترة التي قضاها في روما⁹.

كان لسيرة القديس أنطونيوس تأثير عميق على العديد من القراء، وكانت واحدة من أولى الشهادات العظيمة التي أشادت بالتقاليد الرهبانية المصرية¹⁰.

تتلذذ على يد أنثاسيوس الرسولي مارتن (Martin Of Tours) أسقف تور، الذي أسس جماعة رهبانية على مقربة من بواتييه حوالي عام (٣٦٢م)، وجماعة رهبانية أخرى بالقرب من تور حوالي عام (٣٧٢م)، وعندما سمي مارتن أسقفاً على مدينة تور أسس

¹ - أرشمندريت Archimandrite كلمة يونانية تعني مدبر رعية، واستخدام هذا الاصطلاح في الكنيسة الشرقية منذ القرن الرابع الميلادي بمعنى رئيس دير أو مجموعة أديرة. انظر : ملطي، تادرس يعقوب. (٢٠٢١)، **قاموس المصطلحات الكنسية**، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية.

² - Thomas, J. (1998), p.38.

³ - يوحنا فم الذهب: من آباء الكنيسة الشرقية ولد في أنطاكية عام ٣٥٤م وتبني عام ٤٠٧م، اختاره الإمبراطور أركاديوس رئيساً لأساقفة القسطنطينية عام ٣٩٧م، السبب في تلقيه بقم الذهب يرجع لفصاحته وبلاغته، أهم مؤلفاته رسالة في الكهنوت، وله (تصانيف ومواظ وتفسير).

انظر هيرونيمس. (٢٠١٠): **مشاهير الرجال**، تر: الأب جوزيف كميل جبار، بيروت: دار المشرق، ص ١٠٣.

⁴ - أمين، حكيم. (١٩٦٣)، **دراسات في تاريخ الرهينة والديرية المصرية**، القاهرة، ص ٢٢٦-٢٢٧.

⁵ - وهي تقع على شاطئ نهر الموزل حالياً بألمانيا

⁶ - هيرونيمس. (٢٠١٠)، ص ١٠٣.

⁷ - الأنبا: هي كلمة من أصل سرياني وتعني الأب والمعلم، وهي لقب للآباء الرهينة (الأنبا أنطونيوس، الأنبا هيلاريون، الأنبا باخوميوس). انظر: ملطي. (٢٠٢١)، **قاموس المصطلحات الكنسية**، مادة أنبا.

⁸ - الأورشليمي، بسطس. (٢٠١٠)، **الرهينة القبطية وأثرها على العالم**، القاهرة: مركز الزمالة للدراسات والفنون القبطية، ص ٣٢.

⁹ - هيرونيمس. (٢٠١٠)، ص ١٢٦-١٢٧.

¹⁰ - أنثاسيوس. (٢٠١٢)، ص ٥.

أربعة جماعات رهبانية في تريف¹. يمكن القول: إنَّ بدايات الحياة الرهبانية في الغرب كانت على يد مارتن الذي كان تلميذاً للأسقف أثاناسيوس الرسولي.

عاد أثاناسيوس إلى الإسكندرية من أجل الدفاع عن الشعب الأرثوذكسي الذي عانى من الاضطهاد الآريوسي²، ونظراً لشدة الاضطهاد طلب منه الشعب الأرثوذكسي المغادرة إلى روما³، ولما سافر أثاناسيوس إلى روما سنة (٣٤٠م) اصطحب معه راهبين من وادي النطرون أحدهما الراهب أمونيوس والثاني الراهب القس أيسيدورس الذي كان مشرفاً على بيت الضيافة في الأسقيط، وهناك عملوا معاً على نشر الحياة الرهبانية في روما.

كانت تستضيفهم هناك أرملة مسيحية اسمها مارسلا التي تأثرت بأحاديثهم عن الحياة النسكية للأرامل والعذارى في مصر، فأستت مارسلا نواة للحياة الرهبانية للنساء واجتذبت إليها كثيرات من نساء وعذارى الطبقات الراقية في المجتمع الروماني⁴. لقد تأثر القديس أمبروسيوس⁵ (٣٣٩-٣٩٧م) أسقف ميلانو بالحياة الرهبانية المصرية التي نشرها القديس أثاناسيوس والراهبان اللذان اصطحبهما معه إلى إيطاليا، فأسس القديس أمبروسيوس نظاماً للرهبنة الخادمة متأثراً في ذلك بالراهب القس أيسيدورس الذي جمع بين الرهبنة والخدمة الرعوية والكهنوتية⁶.

ب - الرحالة والزوار الغربيون:

ـ روفينوس (Rufinus ٣٤٥ - ٤١٠م):

راهب ومترجم ولد سنة (٣٤٥م) في مدينة كونكورديا Concordia بالقرب من أكويا Aquileia الواقعة على شاطئ البحر الادرياتيكي بإيطاليا، من أسرة مسيحية، درس في روما حيث اجتمع مع القديس جيروم (٣٤٧-٤٢٠)⁷، وبعد أن انتشرت أخبار النساك المصريين من خلال القديس أثاناسيوس الرسولي، كان روفينوس واحداً من مئات الشبان الذين استهوته الحياة النسكية فاندمجوا فيها بحرارة، وعاش في جماعة نسكية في وطنه (٣٦٨-٣٧٠م)⁸، ثم قصد سورية وعاش بضع سنوات مع رهبانها. غادر روفينوس سورية واتجه نحو مصر حوالي (٣٧٣م) وحالما وصل إلى الإسكندرية اتجه صوب الصحراء، حيث قابل عدداً كبيراً من آبائها وسعدا بالحياة معهم على الرغم من الصعوبات الكبيرة التي تعرض لها في مصر؛ نتيجة الاضطهاد الذي أثاره

¹ - الأورشليمي. (٢٠١٠)، ص ٣٢.

² - أريوس: كاهن في كنيسة الإسكندرية، هو من أصل ليبي ولد عام (٢٥٦م)، تتلمذ في أنطاكية السورية على يد لوقيانوس الأنطاكي كما يدعي، المصدر الوحيد عن عقيدة أريوس هي المناظرة التي جرت بين أريوس وأثناسيوس الرسولي رئيس شمامسة كنيسة الإسكندرية بحضور الإمبراطور قسطنطين الكبير Constantine (٣٠٦-٣٣٦م) في مجمع نيقية؛ وتعد هذه المناظرة المصدر الأصلي الوحيد لبيان عقيدة أريوس كما يذكر المؤرخ سوزومين Sozomenus (٣٨٣-٤٥٠م)، دارت المناظرة بعد أن رأس الإمبراطور المجمع وطلب من أريوس أن يشرح مذهبه فقال: (الابن ليس مساوياً للأب في الأزلية وليس من جوهره وقد كان الأب في الأصل وحيداً فأخرج الابن من العدم بإرادته والأب لا يمكن أن يراه أو يكافئه أحد ولا حتى الابن لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي). وكانت عقيدة أريوس تتلخص كما يبدو من شرحه لمذهبه أمام الإمبراطور قسطنطين في خمسة نقاط: (كان زمناً لم يكن فيه لابن وجود أو قبل أن يولد ولم يكن، خلق من جوهر لم يكن من قبل موجوداً أو صنع من مادة لا وجود لها أي خلق من العدم، خلق من جوهر يخالف جوهر الله، لأنه خلق ولم يولد فإنه يشارك المخلوق في صفاته، ولأنه مخلوق لا مولود فإنه قابل للتغيير والاستحالة). انظر: سوزومين. (١٨٩٠)، ١: ١٥.

³ - ثيودوريتوس. (٢٠١٦). **التاريخ الكنسي**، تر: بولا ساويرس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، ٢: ٣.

⁴ - أمين، حكيم. (١٩٦٣)، **تاريخ الرهبنة والديرة المصرية**، القاهرة، ص ٢٠٠.

⁵ - ولد أمبروسيوس حوالي سنة (٣٣٩م) في تريف، بعد أن نال ثقافة وتعليماً عالياً صار محامياً في محكمة ولاية سيرميوم، ثم مستشاراً للحاكم، وفي سنة (٣٧٠م) حاكماً لولاية أميليا-غوري في ميلان، فأحدث أن توفي أسقف ميلان (٢٧٤م)، فاختر أمبروسيوس مكانه، فساس أبرشيته حتى سنة (٣٩٧م)، وقد ترك الكثير من المؤلفات التي بدأ فيها واضحاً تأثير الآباء الشرقيين. انظر: هيرونيمس. (٢٠١٠)، ص ١٢٦.

⁶ - الأورشليمي. (٢٠١٠)، ص ٣٣.

⁷ - Tyranninus Rufinus, **Roman Priest And Writer**, Encyclopedia Britannica.

⁸ - Tyranninus Rufinus, **Roman Priest And Writer**, Encyclopedia Britannica.

الإمبراطور فالنس الأريوسي (٣٦٤-٣٧٨م) في مصر، وبقي روفينوس في مصر سبع سنوات (٣٧٣-٣٨٠م)، حيث صار تلميذاً للقديس ديديموس الضرير¹ الذي تأثر بتعاليم أوريغانوس الإسكندري، ثم عاد إلى سورية وأسس ديراً للرجال وآخر للنساء في اورشليم على جبل الزيتون بمساعدة القديسة ميلانا الكبرى.

استقر القديس جيروم في بيت لحم في عام (٣٨٦م) وكان يساند القديس إبيفانيوس Epiphanius - أسقف سلاميس (٣٦٧-٤٠٤م) عاصمة قبرص- في هجومه على الأوريجانية²، فأخذ موقفاً مضاداً لروفينوس بسبب تأييده للأوريجانية، وهنا تدخل رئيس أساقفة الإسكندرية ثاوفيلس (٣٨٥-٤١٢م) للمصالحة بينهما، وفي عام ٣٩٧م عاد روفينوس إلى إيطاليا³. يشتهر روفينوس بترجمة القواعد الباسيلية المعروفة بالقواعد المطولة والمختصرة في قاعدة واحدة اسمها: قواعد القديس باسيليوس أسقف كبادوكيا للرهبان.

Regular Sancti Basilii Episcopi Cappadociae Ad Monachos.

وهذه القاعدة التي ترجمها روفينوس من اللغة اليونانية إلى اللاتينية اتبعتها معظم الأديرة التي سوف يتم تأسيسها في الغرب من قبل القديس بنديكتوس⁴.

- جيروم (Hironimus ٣٤٧-٤٢٠م):

يعتقد أنه ولد في ستريدون الواقعة اليوم على الحدود ما بين المجر وبلغاريا حوالي سنة (٣٤٧م)، ثم انتقل إلى روما عام (٣٦٠م) لدراسة النحو والخطابة، وفي روما ما لبث أن تقبل سر المعمودية المقدسة⁵، وبعدها انتقل للعمل موظفاً في البلاط الإمبراطوري سنة (٣٦٧م).

قد جذبته الحياة الرهبنة التي نشرها القديس أنثاسيوس في روما، فالتحق هو وصديقه القديم روفينوس بالجماعة الديرية التي أسسها أسقف أكيا عام (٣٧٠م)⁶.

ما لبث أن غادر جيروم بلاده إلى القسطنطينية حوالي عام (٣٨٠-٣٨١م)، فمكث فيها ثلاثة أعوام استطاع أثناءها التعرف إلى كبار لاهوتي القرن الرابع الميلادي كغريغوريوس اللاهوتي⁷ وغريغوريوس النيصي⁸ وأخذ من معينهم الفكري.

عاد جيروم إلى روما حيث عمل كاتم أسرار البابا داماسس (٣٦٦-٣٨٤م)، الذي أوعز إليه في تفقيح الترجمة اللاتينية الخاصة بالإنجيل، والمزامير المستخدمة في الكنيسة الغربية.

¹ - ديديموس: ولد ديديموس حوالي سنة ٣١٣م فقد بصره في أربعة من عمره، حفظ كتاب المقدس والتعاليم الكنسية ونبغ بالنحو والخطابة والفلسفة والمنطق والرياضيات، تم تعيينه بواسطة أنثاسيوس الرسولي مديراً لمدرسة الإسكندرية ٣٤٦-٣٩٨م. انظر: هيرونيمس (٢٠١٠)، ص ١١٧

² - أوريغانوس: ولد في مصر يعد من أبرز آباء الكنيسة الأوائل استلم رئاسة مدرسة الاسكندرية اللاهوتية بعد وفاة أكلميندس الإسكندري، يعتبر أوريغانوس مؤسس الفلسفة المسيحية وقد ابتكر مصطلحات لاتزال تستعمل إلى يومنا هذا (طبيعة، جوهر، مساوٍ في الجوهر، إله أنسان) اشتهر أوريغانوس بالتفسير الرمزي للكتاب المقدس. انظر هيرونيمس (٢٠١٠) ص ٧٤-٧٩.

³ - تادرس، يعقوب ملطي (٢٠١٦)، قاموس القديسين والشخصيات التاريخية، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، القاهرة، مادة روفينوس.

⁴ - المخلصي، إلياس كويتز (١٩٨٩)، القديس باسيليوس الكبير، بيروت: المكتبة البولسية، ص ٧٩.

⁵ - المعمودية هي أولى الأسرار السبعة أو هي المدخل إلى الأسرار السبعة بدونها لا يتم أي سر ولعلها من أجل هذا أخذت أسم المعمودية لأنها عماد الأسرار. انظر: أنطونيوس، فكري (٢٠١٨)، الأسرار الكنيسة السبعة، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية.

⁶ - هيرونيمس (٢٠١٠):، ص ١٣١.

⁷ - غريغوريوس النينزي: يعد من أعظم الآباء الكبادوك هو مفكر و شاعر و متصوف خطيباً و لاهوتياً له العديد من المؤلفات اللاهوتية: (الثالوث، الروح القدس، المسيح، الأفخارستيا، التأليه). انظر: الفاخوري (٢٠٠٢): ص ٥١٣-٥٢٨.

⁸ - غريغوريوس النيصي (٣٣٥-٣٩٥م) أسقف نيصص الأخ الصغير للقديس باسيليوس الكبير، يعد من أهم الآباء الكبادوك دعاه القديس غريغوريوس النينزي بعمود الكنيسة. انظر هيرونيمس (٢٠١٠). ص ١٢٨.

غير أنّ وفاة قُدّاسة البابا داماسُس عام (٣٨٤م) اضطرته أن يعود إلى الشرق برفقة شقيقته وجماعة من النساء الأرستقراطيات؛ (بولا وبناتها بلازيبلا وأوستوكيوم وبولينيا وغيرهن) فتوقف في أنطاكية، ثم ذهب إلى الأراضي المقدسة، ومنها انتقل إلى الإسكندرية حيث تعرف إلى ديديموس الضرير أشهر معلميه، وبعدها رجع إلى بيت لحم حيث أمضى السنوات الباقية من عمره فيها، وهناك انصرف جيروم إلى ممارسة الحياة الوجدانية حيث أسس جيروم ديراً للرجال وأسست بولا ديراً للنساء من مالها الخاص¹. يشتهر جيروم بنقل قوانين ونظم حياة الشركة الباخومية المصرية إلى اللغة اللاتينية حوالي سنة (٤٠٤م)، فاعتبر أنّه همزة الوصل بين رهبنة الشرق ورهبنة الغرب، وقد تأثر القديس بنيدكتوس بهذه القوانين والحياة الرهبانية المصرية واستفاد منها في سن قوانينه الديرية².

- يوحنا كاسيان (John Cassian):

يوحنا كاسيان والمعروف أيضاً باسم يوحنا الزاهد، ولد سنة (٣٦٠م)، كان راهباً وعالم دين مشهور في الكنائس الغربية والشرقية؛ بسبب كتاباته الرهبانية، اشتهر كاسيان بتقديم أفكار وممارسات الرهبنة الشرقية للغرب الأوروبي³. ينتمي يوحنا كاسيان إلى عائلة مسيحية صالحة وكان مسيحياً بالحق، ودعى يوحنا في العماد، ومن خلال كتاباته عن نفسه يلاحظ أنّه ينتمي إلى عائلة شريفة وتقية وميسورة الحال ولم تقف في طريق اختياره للرهبنة، وهذه العائلة كانت قادرة على توفير سبل المعيشة والإقامة الرهبانية دوّماً أي إزعاج لو فكر في أن يعتزل بالقرب منها. غير أنّ كاسيان قد اختار وطبق على نفسه الفكر الرهباني المصري (الأنطوني) الذي وصل إلى الغرب الأوروبي من خلال القديس أنثاسيوس الرسولي، الذي فيه يعتزل الراهب بعيداً عن أسرته وأقاربه تماماً، ولكن ليس لدينا معلومات كيف عاش منفرداً في مارسيليا، ولا نوع العمل الذي كان يقات منه ولا كيف كان يدير حاجات معيشته اليومية⁴. من خلال كتابه المحاورات نستشف أنّه قد تلقى تعليماً كلاسيكياً الذي كان سمة عصره وصفوته، ومن عمله ضد نسطوريوس⁵ عن التجسد الإلهي يلاحظ أنّه كان ملماً ليس فقط بكتابات المسيحيين الأوائل بل أيضاً بكتابات وأعمال الكتاب غير المسيحيين في أيامه، بالطبع كان يتكلم ويكتب باللغة اللاتينية، ولكن من المحاورات نعرف أنّه كان يتقن اللغة اليونانية كلغة حديث شفاهي مع آباء الصحراء في سورية ومصر، ومن اقتباساته لآيات الأسفار المقدسة، يتأكد أنّه يلم باليونانية كلغة ثقافة حيث اعتمد أساساً على النسخة السبعينية. يمكن القول: إنّ كاسيان تكلم وتعلم اليونانية في سورية التي بقي فيها مدة ثلاث سنوات في دير بيت لحم⁶.

¹ - لوريمر (٢٠١٣)، تاريخ الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة، ص ٣١٨-٣١٩.

² - Thomas(1998).p36.

³ - تادرس، يعقوب ملطي (٢٠١٦)، قاموس القديسين والشخصيات التاريخية، مشروع الكنوز القبطية، القاهرة، مادة كاسيان.

⁴ - كاسيان، يوحنا (٢٠١٥). أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية، تر: بولا ساويروس، القاهرة، مركز باناريون للتراث الآباء، ص ١٥-١٩.

⁵ - نسطوريوس راهب سوري أصبح بطريرك على القسطنطينية (٤٢٨-٤٣١م)، كان نسطوريوس يعتقد بانفصال الطبيعيتين الإلهية والإنسانية في السيد المسيح، ومن ثم أن السيدة مريم العذراء هي والدة المسيح الإنسان (Christotokos) ولكن ليس والدة الإله (Theotokos)، اتهمه نتيجة لذلك بالهرطقة وحرّم في مجمع أفسس عام (٤٣١م). انظر: سقراتيس (١٨٩٠)، التاريخ الكنسي، تر عن الأصل اليوناني بولا ساويرس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، ٧: ٢٩-٣٦.

⁶ - كاسيان، يوحنا (٢٠١٧)، المحاورات، تر: بولا ساويروس، مركز باناريون للتراث الآباء، القاهرة، ١١: ١٧.

-حياته الرهبانية:

سافر كاسيان إلى سورية في البداية مع صديقه جرمانوس وهناك استقرا في دير بيت لحم لمدة ثلاث سنوات، وبعدها غادر كاسيان سورية واتجه صوب مصر حيث زار هناك الرهبان والأديرة التي تمارس حياة الشركة في منطقة طيبة، ثم انطلق إلى برية الأسقيط حيث عاش فيها لمدة سبع سنوات، يلتقي فيها كاسيان بمشاهير الآباء الرهبان، ولقد كان كتابه المحاورات ثمرة هذه الزيارة، ثم عاد يوحنا كاسيان إلى بيت لحم لكنه لم يبق فيها إلا فترة قصيرة، ثم عاد إلى الأسقيط مرة ثانية في سنة (٣٨٦م)¹، وكان كاسيان صديقاً حميماً للقديس أوغريوس Evagrius Ponticus² وأتباع أوريجانوس، ويسبب ارتباطه بالأوريجانية ودخوله في صراع مع الأسقف ثاوفيلس (٣٨٥-٤١٢م) اضطر إلى مغادرة مصر نهائياً عام (٣٩٩م)³.

ذهب يوحنا كاسيان إلى القسطنطينية حيث تأثر بالقديس يوحنا فم الذهب Johannes Chrysostomos (٣٩٧-٤٠٤م) رئيس أساقفة القسطنطينية، الذي سامه شماساً ولكن كاسيان تراجع عن الالتزام بأية مسؤولية كنسية، وقد أشار كاسيان إلى القديس يوحنا فم الذهب قائلاً: (ما أكتبه علمني اياه يوحنا، وأعتبر ما أكتبه ينسب إليه أكثر من أن ينسب إلي)⁴.

ذهب كاسيان إلى روما في عام (٤٠٤م) يحمل رسالة من كهنة القسطنطينية أصدقاء القديس يوحنا فم الذهب المضطهد من أجل تدخل أسقف روما إنوسنت الأول Innocent I (401-٤١٧م) لإنصاف يوحنا فم الذهب الذي عزل من منصبه كرئيس لأساقفة القسطنطينية ونفي إلى كوماننا على شواطئ البحر الأسود⁵.

قام كاسيان سنة (٤١٠م أو ٤١٦م) بتأسيس ديرٍ للرجال باسم القديس فيكتور، حيث صار رئيساً للدير، أيضاً أسس ديراً للنساء، وسرعان ما انتشرت الأديرة الرهبانية بعد ذلك وضمت آلاف من الرهبان والزاهبات وأصبح يوحنا كاسيان الأب الروحي لهم⁶. يمكن القول: إنَّ كاسيان قدم نظاماً محكماً للحياة الرهبانية يحمل في طياته الفكر الرهباني الشرقي وخاصة الفكر الرهباني المصري من خلال كتابيه :

- أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاج الأوجاع أو الأهواء .
- محاورات مع آباء صحاري مصر .

حول ذلك يقول المؤرخ فرند: إنَّ كاسيان أمد الولايات الغربية بالنظام الرهباني الذي يمكن أن يقبلوه، هذا النظام الذي قدمه القديس كاسيان مهد الطريق أمام النظام البندكتي الذي سيظهر في فترة لاحقة⁷.

٢- القديس بنيديكتوس منظم الحياة الديرية في الغرب:

معلوماتنا عن حياة القديس بنيديكتوس Benedictus مستمدة من كتاب الحوارات للقديس غريغوريوس الكبير (٥٤٠-٦٠٤م) ، المتضمن مجموعة من الروايات القصيرة التي تنسم إلى حد قريب أو بعيد بطابع الأسطورة¹.

¹ - ملطي، تادرس يعقوب، (١٩٨٨)، القديس يوحنا كاسيان حياته كتاباته مؤلفاته ، القاهرة، ص ٧-٨.

² - أوغريوس أو مار أوجريس، أو أفجاريوس ويلقب بالبنيطي وهو أحد آباء نتريا المشهورين (٣٤٥-٣٩٩م) ، اثرت كتاباته بالذات على كاسيان في قسم الأهواء الثمانية من كتابه الأنظمة.

انظر: كاسيان، (٢٠١٧)، ص ١٢٠.

³ - أمين، (١٩٦٣)، ص ٢١٩.

⁴ - ملطي، (١٩٨٨)، ص ٨.

⁵ - سوزومين (١٨٩٠)، ص ٨: ٢٦.

⁶ - Latourette ,K.s,(1953) . A History Of Christianity ,Oxford,p133.

⁷ - Frend,w,(1989) . The Early Church ,London,p197.

ولد القديس بنديكتوس في قرية نورسيا بمدينة سبوليتو Splito الإيطالية عام (٤٨٠م) من أسرة رومانية أرستقراطية، درس في روما الآداب اللاتينية ولكنه ما لبث أن عزف عن العالم لما لمس منه من مظاهر الفساد الخلقي في إيطاليا التي استباحتها الحروب والغزوات القوطية².

بدأ حياته الوجدانية متأثراً بالنظام الأنطوني (أنطونيوس أبو الرهبان المصريين) في كهف Sudiaco على بعد حوالي أربعين ميلاً عن روما، ثم أسس في حوالي عام (٥٢٠م) حياة رهبانية مشتركة على نظام القديس باخوميوس الذي نقله للغرب الأوروبي يوحنا كاسيان وروفيونوس، ويقوم هذا النظام على أساس الصلاة والعمل والذي يسمى باللاتينية Ora Et Labora (وهو غير النظام الذي يقوم على الصلاة فقط الذي يتبعه جماعة المصلين) كما وضعه القديس باخوميوس عام ٣٢٠م³.

اعتمد بنديكتوس على قوانين باسيليوس الكبير المعروفة باسم القواعد المطولة والقواعد المختصرة التي ترجمها القديس روفينوس (٣٤٥ - ٤١٠م) إلى اللغة اللاتينية في قاعدة واحدة اسمها:

قواعد القديس باسيليوس أسقف كبادوكيا للرهبان

Regulae Sancti Basilii Episcopi Cappadociae Ad Monachos.

وقد قام بهذا العمل نزولاً عند رغبة رئيس أحد أديار إيطاليا الجنوبية، وهذه الترجمة هي التي عرفها القديس بنديكتوس (٤٨٠-547م) أب رهبان الغرب، واعتمدها لسن قوانينه⁴.

قام بنديكتوس بتأسيس ديره الأول في سنة (٥٢٠م)، فاختار موقع الدير على قمة جبل كاسينو (مونت كاسينو) الواقع في منتصف الطريق بين روما و نابولي على أنقاض معبد للإله أبولو، وبنى كنيسة الأولى باسم القديس مرتينس، والأخرى باسم القديس يوحنا المعمدان⁵، وقدر لنظام دير مونت كاسينو الذي وضع عام (٥٢٩م) أن يكون أنموذجاً لأديرة كثيرة انتشرت في مختلف مناطق أوروبا الغربية⁶.

يبدو أن بنديكتوس قام بتأسيس ديرٍ للنساء، وجعل من أخته القديسة (سكولاستيكا) رئيسة لهذا الدير، وكان هذا الدير على مقربة من دير الرجال، وكذلك اسس بنديكتوس ديراً ثالثاً في تيرانسا⁷. Terracina، وسرعان ما تم إقامة عدة أديرة تحت إدارته وتتبع خطته ومنهجه في العمل والتنظيم والعبادة والحياة المشتركة ورفض السياحة.

الملاحظ أن هذه الأديرة البندكتية كانت قريبة من المدن؛ والسبب في ذلك يعود لحالة إيطاليا التي كانت تعاني من هجمات القوط؛ والحروب المدمرة مما أفقدها الأمن والاستقرار؛ مما لا يشجع على تأسيس الأديرة البعيدة عن المدن⁸.

وكان الدير البندكتي يقوم على أربع قواعد وهي:

- البتولية: أي عدم الزواج فلا يحق للمنتمي إلى الدير بالزواج.
- الطهارة بمعنى العفة ونكران الذات والاستعداد لخدمة الآخر والتضحية من أجله.

¹ - لوكلير، جان. (٢٠٠٢)، قوة جديدة: الرهبانية، تر: انطوان الغزال وصبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ص ٢٩٢.

² - نعيم، فرح. (٢٠٠٠): الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، ط ٢، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ص ٢٣٦.

³ - عويضة، كامل محمد. (د-ت): أوغسطينوس فيلسوف العصور الوسطى، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ١٠٧.

⁴ - المخلصي، إلياس كويتز. (١٩٨٩)، القديس باسيليوس الكبير، بيروت: المكتبة البولسية، ص ٧٩.

⁵ - ولز. ج. (١٩٨٩)، معالم تاريخ الإنسانية، تر عبد العزيز جاويد، القاهرة، ص ٤٧ - ٤٨.

⁶ - الديراني، افرام. (١٨٩٩)، العيشة الهنية في الحياة النسيكية، بيروت، ص ٢٣٦.

⁷ - كيرنز، إيرل. (٢٠٠٨)، المسيحية عبر القرون تاريخ الكنيسة المسيحية، تر: بهيج خوري، القاهرة، ص ١٧٣.

⁸ - المخلصي، منصور. (٢٠٠٥)، أصول الحركة الرهبانية، بغداد، ص ٧١.

- الطاعة العمياء لرئيس الدير، والانصياع لأوامره واجتتاب نواهيه بدون نقاش.
 - التنازل عن الملكية عند دخول الدير أي الفقر الاختياري¹.
- والملاحظ في هذه القواعد ما هي إلا نذور الرهبنة الشرقية التي هي البتولية والفقر الاختياري و الطاعة.

قوانين الدير البندكتي:

وضع بنديكتوس عدة قوانين يجب على الزاهب احترامها وتنفيذها، ونظراً لصرامتها وجدبتها فقد عدت زائدة عن حدها وتمّ نعتها بالترمت وهي:

- ١- عند ولوج المتقدم للرهبنة الدير يجب عليه أن يقدم كل ما يملك إما للفقراء أو إلى رصيد الدير.
 - ٢- عدم السماح لراهب بمغادرة الدير إلا لظروف استثنائية، وذلك بعد موافقة رئيس الدير².
 - ٣- تقسيم واجبات الرهبان خلال أربع وعشرين ساعة على النحو التالي :
 - . أربع ساعات للصلاة العامة.
 - . أربع ساعات للصلاة الفردية والقراءات الخاصة للكتاب المقدس، وهذا يعطي انطباع أن الزاهب البندكتي يجيد القراءة والكتابة وليس أمياً.
 - . ست ساعات لنسخ المخطوطات.
 - . عشر ساعات للنوم والأكل³.
 - ٤- لا يحق للزاهب امتلاك أي شيء ولو كان بسيطاً، وذلك أن كل ما في الدير هو ملك لجميع الرهبان.
 - ٥- ينتخب رئيس الدير من طرف الرهبان مدى الحياة ويكون مسؤولاً أمام الله عنهم وعن الدير وقواعده، وكما يتوجب استشارة الرهبان في كل ما يتعلق بالدير والأخذ بأرائهم، كما له الحق في منحهم المناصب أو العكس، وينزع المناصب من الراهب وتعيين بدلاً منه.
 - ٦- يطيع الزاهب رئيس الدير طاعة عمياء، ويتكف بعدة أعمال يدوية منها العمل في الحقل أو الحديقة أو المطبخ.
 - ٧- تتحصر العطلة نهاية الأسبوع للزاهب في يوم الأحد فقط، يجب أن يقضيها في الصلاة والقراءة.
 - ٨- يسمح للرهبان بتناول قدر محدود من الخمر، ويحق لهم بزيادة هذه الكمية إذا بذلوا مجهوداً أكبر، ولكنهم يمنعون من أكل اللحم إلا في حالات المرض.
 - ٩- يتوجب على الراهب ارتداء رداء ريفي خشن بقلنسوته وتحتّه قباء من الصوف⁴.
- والناظر في هذه القوانين يدرك من الوهلة الأولى تشابهاً كبيراً بين قوانين بنديكتوس مع قوانين القديس باخوميوس وباسيليوس اللذان ركزا على العمل والصلاة والطاعة العمياء لرئيس الدير، وعدم وجود ملكية ضمن الدير أي الفقر الاختياري، ويلاحظ في بند انتخاب رئيس الدير من قبل الرهبان مستمد من التشريعات الديرية السورية (تسريع رابولاً أسقف الرها ٤١٢-٤٣٥م)، ولكن الجديد

¹ - ستيني، ل. ج. (٢٠٠٣)، تاريخ العالم الغربي، تر مجد الدين ناصيف، القاهرة: دار النهضة، ص ٩٢

² - أمين. (١٩٦٩)، ص ٢٢٨.

³ - فرح. (٢٠٠٠)، ص ٢٣٧.

⁴ - جيبون، ادوارد. (١٩٦٩). اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، تر لويس اسكندر، مصر: منشورات الكتاب العربي، ج ٢، ص ٣٢٨-٣٢٩.

في هذه القوانين السماح بتناول الخمر بمقدار معين والتركيز على أن يكون الراهب على معرفة بالقراءة والكتابة وتخصيص عطلة الأسبوعية للرهبان في يوم الأحد، وعلاوة على ذلك يركز بنيدكتوس على الجانب الروحي والمعرفي أكثر من ممارسة العمل، وذلك من خلال تخصيص أربع عشرة ساعة من اليوم للصلاة والدراسة ونسخ المخطوطات.

الموارد المالية للدير البندكتي:

زادت موارد الدير البندكتي المالية خلال القرن السادس الميلادي، نتيجة الهبات التي نالها من السلطات الرومانية أو الأفراد، إلى جانب الأنشطة الاقتصادية المختلفة التي مارسها الرهبان البندكتيين التي كانت تدر الكثير من المال. أصبحت الأديرة البندكتية تمتلك مساحات واسعة من الأراضي، نتيجة لهبات الأباطرة الرومان أو الأفراد أو لقيامها باستصلاح الأراضي البور لصالحها والتي كثيراً ما تعفى من الضرائب، ومن الملاحظ أن النظام الرهباني البندكتي قد وضع العمل اليدوي في منزلة العبادة، وجعله جزءاً أساسياً من حياة الديرين، وبذلك أصبحت الأديرة مراكز للنشاط الزراعي ومجمعاً للفنون والحرف والصناعات¹.

كانت الموارد المالية بالدرجة الأولى تأتي من مزاوله الرهبان للعمل الاقتصادي بكل أشكاله وفقد جعل الرهبان أديرتهم مراكز للنشاط الاقتصادي، فأحبوا الأراضي وجففوا المستنقعات واستفادوا منها بالزراعة، وقاموا بتربية الحيوانات ومارسوا التجارة، فضلاً عن اتقان الصناعة ومنها: صناعة النسيج والصباغة ودبغ الجلود وصناعتها².

ليس من شك أن ثروة الأديرة نمت نمواً كبيراً في وقت ساد الاعتقاد بأن الخلاص الأبدي وقف على الاحسان والتصدق، حيث نالت الأديرة نصيباً من تبرعات الأفراد، وما حمله المسيحيين من جلائل النذور والقرابين، وما قدمه أغنياء الدولة الرومانية الذين نظروا إلى الرهبان في أجلال، وغيرهم من المسيحيين الذين حضروا للزيارة أو طلباً للشفاء والعلاج، لذلك نعمت الأديرة بالثروات الطائلة من وراء تلك الهبات³، هذه الموارد التي يتم الحصول عليها كانت توجه نحو بناء المزيد من الأديرة لمواجهة الزيادة المطردة لعدد لرهبان، وتأمين كل مستلزمات الأديرة وحاجات الرهبان، بينما الفائض كان يتم صرفه على الفقراء والمحتاجين وغيرهم.

ثالثاً: مظاهر الحضارة في الرهبنة الديرية الغربية:

- المظهر الديني:

أصبحت الأديرة البندكتية مراكز لأعمال نشر الديانة المسيحية في البلاد الوثنية، إن تاريخ الرهبان البندكتيين هو تاريخ الكنيسة الغربية، فقد أسهموا في انتشارها وتركيز أسسها ودرء البدع عنها وجلاء حقائق الإيمان في تعليمها⁴. تعد الأديرة البندكتية مراكز للعبادة والتأمل وتلاوة الفرض الإلهي، وقد اعتبر القديس بنيدكتوس الصلاة الجزء المتميز من اليوم الديري، وقد شاع الاعتقاد في كرامات الرهبان البندكتيين بما كانوا يروجونه عن أنفسهم وعن زملائهم من صنع المعجزات والكرامات والخوارق، لذلك اتخذهم الناس وسطاء وشفعاء عن الله⁵.

¹ - لوكلير (٢٠٠٢)، ص ٢٩١.

² - كانتور، نورمان (١٩٩٧)، التاريخ الوسيط قصة الحضارة: البدايات والنهاية، تر: قاسم عبده قاسم، القاهرة: مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص ٢٢٥-٢٢٦.

³ - لوكلير (٢٠٠٢)، ص ٢٩١.

⁴ - عمران، محمود (١٩٩٨)، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص ١٠٤.

⁵ - موريس، يقاريني (١٩٦٦)، تاريخ الكنيسة، تر عقيقي اليسوعي، مصر: منشورات المعهد، ج ٢، ص ٨٣.

عندما يؤدي الراهب كل ما تطلبه الحياة الديرية من شروط بالكامل ويمارس أعمال العبادة بانتظام ونشاط ويمارس الفضائل من عمل الخير والمساعدة والإحسان للفقراء والمحتاجين والمرضى، حينئذ يشرفه الله بصنع الكرامات والأشفية على يديه فيقصدهم المبتلون بالأمراض وينالون الشفاء على يديه.

أمام هؤلاء الزوار أقام الرهبان بالعديد من المعجزات الاستبصار أو وحدة الإدراك ومعجزات الشفاء ومعجزات الأحلام والرؤى ومعجزات طبيعية، ومن المستحيل التأكد من درجة الإعجاز أو ما هو فوق طبيعي في مثل هذه القصص، ولكن لا جدال في أن هؤلاء الذين سجلوها كانوا يعتقدون أن الله قد تدخل في الأمر على نحو ما وليس من السهل دائماً الكلام عن كيف وإلى أي مدى¹.

وعدت بداية الديرية البندكية بداية عظيمة جداً في العالم الغربي من أبرز أتباعها البابا جريجوري الكبير (٥٤٠ - ٦٠٤م)، وهو أول راهب بندكتي أصبح بابا عام (٥٩٠م) ومن أشد الباباوات اقتداءً وهمةً ونشاطاً حيث أرسل البعثات التبشيرية، وتكلفت جهودها بالتوفيق إلى من لم يعتنق الدين المسيحي وعلى الأخص الأنجلو سكسون، ويرجع إليه الفضل في فرض القواعد الديرية البندكتية وأصوله على كل الرهبان اللاتينية تقريباً².

- المظهر العلمي والثقافي:

كان الرهبان منذ عهد القديس بنديكتوس أئمة الفكر، وحملة مشعل المعرفة والرسول غير حاملين للرسالة الذين نشروا الكلمة الصالحة والمحبة إلى الأقطار النائية، فلا عجب أن نرى البطارقة والأساقفة في الغرب يخرجون من صفوف الرهبان حاملين معهم صفاء التعليم ونقاء السير وشدة المراسم لدعم ملكوت المسيح على الأرض، وخير مثال على ذلك القديس جريجوري الكبير الذي أصبح بابا روما عام ٥٩٠م³.

أنقذ الرهبان البندكتيين تراث الثقافة القديمة كله من الضياع؛ وذلك نتيجة للغزوات البربرية التي تعرضت لها أوروبا؛ عمل الرهبان على تأسيس مكتبة في كل دير؛ ومكاناً لنسخ الكتب تشجيعاً لمن يجد في نفسه الكفاءة للكتابة والتأليف، وعمل النساخ على نسخ مؤلفات آباء الكنيسة ومؤلفات الكتاب الوثنيين من القرون الماضية، فضلاً عن نبوغهم في زخرفة المخطوطات⁴. إن ما اتسم فيه الرهبان من الحماس وحب المعرفة والاستطلاع هو الذي هذب العلوم الدينية بل والعلوم الدنيوية. لا بد للأجيال التالية من أن تعترف في شكر وامتنان بأن أقلام هؤلاء الرهبان هي التي دأبت دون كلل أو ملل على حفظ تراث اليونان والرومان وضاعتها⁵.

لا ريب أن الدير البندكتي أصبح مركزاً تعليمياً، يحتوي على مدارس لتعليم نساك أسدوا خدمة للحضارة والكنيسة معاً⁶، وكانت الأديرة منارة للعلم في تلك الفترة، ولا يوجد أدنى شك حول جهودهم في تطوير النظام التعليمي القائم على العمل والدراسة والتعليم، ومن الجلي أنهم قد راعوا ما ران إليه التعليم من انحلال عام، واحتمال ضياع كل العلوم والآداب القديمة من يد العالم، لذا وجهوا

¹ - هستور ياموناخوم. (د-ت). تر عن الأصل اليوناني بولا البراموسي، طبعة خاصة بالباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية، ص ٤٥-٥٨.

² - ولز. (١٩٨٩)، ص ٤٧.

³ - ولز. (١٩٨٩)، ص ٤٧.

⁴ - موريس. (١٩٦٦)، ج ٢، ص ٨٣.

⁵ - عمران. (١٩٩٨)، ص ١٠٤.

⁶ - موريس. (١٩٦٦)، ج ٢، ص ٨٣.

جهودهم منذ البداية إلى ضرورة حفظ الأشياء وأعادتها إلى نصابها، فجمعوا المخطوطات القديمة وأمروا بنسخها، وقاموا بصنع المزاول والساعات المائية وما شابهها من أجهزة، وألفوا الكتب المدرسية عن الفنون الحرة وكتبوا في الأجرومية أي قواعد اللغة¹. وهكذا ظلّ التعليم في الأديرة رصيناً متصلاً، وهكذا أعد الرهبان ما يلزم للنهضة العلمية إذ حصلت.

خامساً: الخاتمة والنتائج:

- هكذا نجد أنّ الرهبة نبعت من حياة الكنيسة هي حياة إنجيلية نبعت من تعاليم السيد المسيح ودعوته لتترك العالم المادي والتحرر منه، وأصبحت فلسفة الديانة المسيحية لها مبادئ أساسية هي البتولية والعزلة والفقر الاختياري، ولدت الرهبة في مصر وتطورت في سورية ونظمت في الغرب على يد القديس بنديكتوس .

أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث هي التالية:

- انتقلت الرهبة من الشرق إلى الغرب بواسطة القديس أثناسيوس الرسولي مؤلف كتاب حياة القديس أنطونيوس الذي قد أشعل روح الرهبة والنسك في بلاد الغرب، ويظهر التأثير الرهباني المشرقي في الرهبة الغربية في اتباع النمط الأنطوني في البداية ثم تطور هذا النمط إلى الرهبة المترابطة أي الجماعات الرهبانية في فرنسا وإيطاليا، ثم الانتقال إلى الحالة الديرية على النمط المصري الذي نقله روفينوس ويوحنا كاسيان وجيروم إلى الغرب.

- يعد القديس كاسيان مؤسس الرهبة الديرية، بينما المنظم الفعلي لها هو القديس بنديكتوس وقد امتاز القديس بنديكتوس بقوانينه الرهبانية التي كانت شاملة وجامعة للرهبنة المسيحية، كانت قوانينه استمراراً واستخلاصاً من القوانين الباخومية المصرية والباسيلية الكبادوكيا.

- أصبحت الديرية البندكتية مراكز لأعمال التصير ونشر الديانة المسيحية في الغرب الأوروبي .

- المشروع الرهباني الديرية البندكتي وضع من أجل خدمة المجتمع وأصبحت الديرية مدارس للتعليم ومراكز صحية من أجل تقديم الشفاء للسكان .

¹ - ولز. (١٩٨٩)، ص ٤٨ .

المراجع References:

- 1- أثناسيوس، (٢٠١٢)، سيرة حياة القديس أنطونيوس أب الرهبان، تر: بولين تدري أسعد، مطبعة اميرال، القاهرة.
- 2- ثيودوريتوس. (٢٠١٦). التاريخ الكنسي، تر: بولا ساويرس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية.
- 3- سقراتيس. (١٨٩٠)، التاريخ الكنسي، تر عن الأصل اليوناني بولا ساويرس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، ٧: ٢٩-٣٦.
- 4- سوزومين (د - ت): التاريخ الكنسي، تر بولا ساويرس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية.
- 5- كاسيان، يوحنا. (٢٠١٥)، أنظمة حياة الشركة الديرية وعلاجات الأوجاع الثمانية، تر: بولا ساويرس، القاهرة، مركز باناريون للتراث الآباء.
- 6- كاسيان، يوحنا، (٢٠١٧): المحاورات، تر: بولا ساويرس، مركز باناريون للتراث الآباء، القاهرة.
- 7- هيرونيمس (٢٠١٠). مشاهير الرجال، تر: الأب جوزيف كميل جبارة، بيروت: دار المشرق.
- 8- يوسابيوس. (١٩٧٩)، تاريخ الكنيسة، تر عن الأصل اليوناني: القمص مرقص داؤود، ط٢، القاهرة.
- 9- أمين، حكيم. (١٩٦٣): تاريخ الرهبنة والديرية المصرية، القاهرة.
- 10- أنطونيوس، فكري. (٢٠١٨)، الأسرار الكنيسة السبعة، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية.
- 11- الأورشليمي، يسطس. (٢٠١٠)، الرهبنة القبطية وأثرها على العالم، القاهرة: مركز الزمالة للدراسات والفنون القبطية.
- 12- جيون، ادوارد. (١٩٦٩)، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، تر لويس اسكندر، منشورات الكتاب العربي، مصر.
- 13- الديراني، افرام. (١٨٩٩)، العيشة الهنية في الحياة النسكية، بيروت.
- 14- ستياني، ل. ج. (٢٠٠٣): تاريخ العالم الغربي تر مجد الذين ناصيف، دار النهضة، القاهرة.
- 15- سكرما، أندريه. (١٩٩٢): أصول الحياة الروحية، تر: رهبنة دير مار جرجس، ط٢، منشورات دار النور، القاهرة.
- 16- عويضة، كامل محمد. (د.ت). أوغسطينوس فيلسوف العصور الوسطى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- 17- عطية، عزيز سوريل. (١٩٤٩)، نشأة الرهبنة في مصر وقوانين باخوميوس، الإسكندرية: مطبعة رمسيس.
- 18- الفاخوري، حنا. (٢٠٠٢): تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المكتبة البوليسية، بيروت.
- 19- لوكليز، جان. (٢٠٠٢): قوة جديدة: الرهبانية، تر: انطوان الغزال وصبحي حموي اليسوعي، بيروت، دار المشرق.
- 20- لوريمر، جون. (٢٠١٣): تاريخ الكنيسة، القاهرة: دار الثقافة.
- 21- كانتور، نورمان. (١٩٩٧)، التاريخ الوسيط قصة الحضارة: البداية والنهاية، تر: قاسم عبده قاسم، القاهرة: مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- 22- ملطي، تادرس يعقوب. (١٩٨٨): القديس يوحنا كاسيان حياته كتاباته مؤلفاته، القاهرة.
- 23- ملطي، تادرس يعقوب. (٢٠١٦)، قاموس القديسين والشخصيات التاريخية، مشروع الكنوز القبطية، القاهرة، مادة كاسيان.
- 24- ملطي، تادرس يعقوب. (٢٠٢١)، قاموس المصطلحات الكنسية، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية.

- 25- المخلصي، إلياس كويتز. (١٩٨٩): القديس باسيليوس الكبير، مكتبة البولسية، بيروت.
- 26- موريس، يقاريني. (١٩٦٦): تاريخ الكنيسة، تر عقيقي اليسوعي، منشورات المعهد.
- 27- نعيم، فرح. (٢٠٠٠): الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، ط٢، دمشق، منشورات جامعة دمشق.
- 28- ولز، ج. (١٩٨٩): معالم تاريخ الإنسانية، تر: عبد العزيز جاويد، القاهرة، دار الكتاب العربي.
- 29- Latourette ,K.s,(1953) . A History Of Christianity,Oxford.
- 30- Jerome, ILlustrious men (1849), Nicene and past – Nicene fathers ed . schaff, newyork, II.
- 31- Friend,w.(1986) . The Early Church ,London.
- 32- Thomas,J.(1998),Byzantine Monstic foundation Document,Acomplet transition of the surving founders, typika and testaments,vol,I, Harvard university.
- 33- Tyranninus Rufinus, Roman Priest And Writer, Encyclopedia Britannica.